

الصليبيين، أو تنزل على بعض ثغورهم فتدبل منها. وقد أغارت على عكا غارة موفقة ذكرها طلائع في بعض شعره، إذ يقول :

إِنَّ بَعْضَ الْأَسْطُولِ نَالَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ مَا لَا يَنَالُهُ التَّامِيلُ
فَحَوَى مِنْ عَكَّا وَأَنْطَرطُوسِ عَدَّةٌ لَمْ يُحِطْ بِهَا التَّحْصِيلُ
هَذِهِ نِعْمَةٌ الْإِلَهِ وَتَعْدِيَةٌ سُدَّ أَيْدِي الْإِلَهِ شَيْءٌ يَطُولُ

وعلى هذا النحو كانت جيوش مصر وأساطيلها لعهد طلائع ما تزال تصبّح الصليبيين وتمسّيتهم، وتنقص من أطرافهم وبلادهم، ودائماً يستحث طلائع نور الدين أن يزحف شمالاً بينما يزحف هو جنوباً، حتى يقع الصليبيون بين شِقَى الرِّحَا، فتدور عليهم الدوائر. يقول في قصيدة لنور الدين:

سارت سرايانا لقصد	الشام تعتسف الرمالا
تزجى إلى الأعداء جرّد	الخيّل أتباعا توالى
حتى لقد رام الأعداى	من ديارهم ارتحالا
فلوان نور الدين يج	علّ فعلنا فيهم مثالا
ويسير الأجناد جهراً	كى ننازلهم نزالا
ويقى لنا ولأهل دؤ	لته بما قد كان قالا
لرأيت للإفرنج ط	راً في معاقلها اغتقالا
وتجهّزوا للسّير نحو	العرب أو قصدوا الشّمالا

ولحن نشرف من هذا الشعر على حقيقة تاريخية مهمة قلما عنى بها المؤرخون، وهى أن مصر أخذت فى عهد طلائع مكانتها المرموقة فى الحروب الصليبية، فقد تخلّفت فى هذه الحروب لعهد الأفضل بن بدر الجمالى ومن جاء فى إثره من الوزراء، فلما ألقىت مقاليد الأمور إلى طلائع وضع نصب عينيه أن يعيد لمصر مكانتها، فجهز الجيوش وأمدّها بالرجال والعتاد والأساطيل، ودائماً